الباب الخامس

من العام الرابع إلى نهاية العام السابع

العام الرابع من الهجرة النبوية المشرفة

[١] حدث الرجيع المؤلم .

[٢] حدث بئر معونة الجلل .

[٣] غزوة بني النضير .

العام الخامس من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غزوة دومة الجندل .

[٢] غزوة بني المصطلق أو المريسيع .

[٣] غزوة الأحزاب « الخندق » .

العام السادس من الهجرة النبوية المشرفة

- صلح الحديبية .

العام السابع من الهجرة النبوية المشرفة

[١] مكاتبة الملوك والأمراء .

[٢] غزوة خيبر .

[٣] غزوة ذات الرقاع .

[٤] عمرة القضاء .

obeikandl.com

obeikandl.com

العام الرابع من الهجرة النبوية المشرفة

[١] حدث الرجيع المؤلم:

قدم نفر من عضل والقارة، على رسول الله ﷺ بالمدينة، وذكروا له أن فيهم إسلاماً، وأن لهم الرغبة في أن يبعث معهم نفراً، يفقهونهم في الدين، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة نفر هم؛ مرثد بن أبي مرثد الغنوى، خالد بن البُكير الليثى،عاصم بن ثابت الأوسى، خُبيب بن عدى،زيد بن الدَّثِنه البياض،عبد الله ابن طلق حليف بني ظفر. وأمّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوى، وساروا حتى إذا بلغوا الرجيع، غدر بهم النفر، الذين طلبوهم من رسول الله ﷺ ، واستصرخوا عليهم حياً من هذيل، يقال لهم بنو لحيان، فجاءوهم في مائة رجل.

فلجأ المسلمون إلى الجبل، فاستنزلهم القوم، بعهد ألا يمسوهم بسوء ، فأبي عاصم بن ثابت، أن ينزل على عهد كافر، وقاتلهم هو ومرثد بن أبي مرثد وخالد بن البكير. ونزل زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طلق، فأوثقوهم، فقال عبد الله، هذا أول الغدر، فقتلوه. ثم ذهبوا بزيد بن الدثنة وخبيب بن عدى، لبيعهما بمكة (١) .

فأشترى بنو الحارث خبيب، ليقتلوه بالحارث، الذي قتله خبيب يوم بدر، ولما خرجوا به من الحرم ليقتلوه،قال لهم :ذروني أصلي ركعتين (٢)، فتركوه، فصلاهما، فلما سلم، قال: والله لولا أن تقولوا أن بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبقِ منهم أحداً. فمال القوم على جنوبهم،

(١) بيعهم بمكة اى تسليمهم للقتلة المتربصين، فإن هؤلاء الرجال قاتلوا مع رسول الله ﷺ فى بدر وأُحد، ولأهل مكة ثارات يودون الاستفاء منها.

(٢) كان خبيب بذلك هو اول من سَنَّ سُنَّة الصلاة قبل القتل، إذ علم رسول الله بذلك واقره عليها، وصلاها بعد ذلك، غير واحد من المؤمنين.

مخافة أن تأخذهم دعوته، ثم صلبوه. وقام إليه عتبة بن الحارث ليقتله، فقال له: أترضى أن يكون محمد مكانك وأطلقك؟ ، فقال خبيب: والله لا أرضى أن أطلق، ويُشاك محمد بشوكة، ويقال أنهم جمعوا له أبناء الذين قتلهم يوم بدر، وسلطوهم عليه، فظلوا يطعنونه طعناً هيناً بالحراب، حتى قُتل شهيداً فرضى الله عنه وأرضاه.

وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث به إلى التنعيم ليقتله بأبيه، فلما وصل ساومه قائلاً: أنشدك الله أتحب أن محمداً مكانك، وأنك في أهلك. فقال زيد: ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه، تؤذيه شوكة، وأنا جالس في أهلى. فقال أبو سفيان وكان قد حضر الأعدام، مع رجال من قريش: "مارأيت من الناس أحداً يُحب أحداً كحُب أصحاب محمدٍ محمداً".

وأما عاصم بن ثابت الأوسى، فإنهم بعثوا من يأتيهم برأسه، ليبيعوه لامرأة مشركة، إذ كانت قد نذرت أن تشرب الخمر في رأس عاصم، يوم قتل ابنيها في أحد، فبعث الله عليه مثل الظلة من النحل، فحمته، ومنعت من أرادوا أخذه، فتركوه حتى الليل، فجاء سيل وجرفه، ولم يعثر عليه. وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد دعا الله وعاهده، أن لا يمس مشركاً، ولا يمسه مشرك، فمنعه الله في مماته، كما منعه في حياته.

الدروس المستفادة من حدث الرجيع المؤلم:

[١] الغدر والخيانة صفة لازمة لأهل الكفر والشرك.

[٢] مشروعية الصلاة قبل القتل وهى سُنَّة .

[٣] حب أصحاب محمدٍ محمداً ﷺ أشد من حبهم لأنفسهم.

[٢] حدث بئر معونة الجلل:

قدم أبا البراء، عامر بن مالك "ملاعب الأسنة"، إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فلم يسلم، ولكنه عرض على النَّبي ﷺ أن يرسل وفداً من الدعاة، ينشرون الإسلام بين قبائل نجد. وقد أبدى النَّبي ﷺ خشيته، أن يصاب أصحابه بسوء وسط قبائل ضارية، لا يؤمن ذمامها، ولكن البراء قال له: أنه جار لهم. فبعث النَّبي ﷺ سبعين رجلاً، من خيرة الأصحاب، يُعرفون بالقراء، يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، منهم المنذر بن عمرو، الحارث ابن الصمة، حرام بن ملحان، عامر بن فهيرة "مولى الصديق"، عروة بن أسماء ابن الصلت.

فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن طفيل ـ رأس الكفر في هذه البقاع ـ الذي يدعوه فيه إلى الإسلام. فلم ينظر عامر في الكتاب، وأمر رجلاً من أتباعه، أن يقتل حامل الرسالة، فما شعر حرام بن ملحان إلا وطعنة تخترق ظهره، وتنفذ إلى صدره، فصاح "فزت ورب الكعبة".

ثم أستصرخ على هؤلاء الدعاة، قبائل من بني سليم من عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوَان، فأجابوه إلى ذلك، حتى أحاطوا بالقوم، فرأى هؤلاء الدعاة الموت مقبلاً عليهم من كل صوب، فهرعوا إلى سيوفهم يدافعون عن أنفسهم، وقاتلوا حتى قُتِلوا عن أخرهم (١) فرحمهم الله أجمعين.

وكان في سرح القراء، اثنان لم يشهدا المأساة، هما؛ عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن محمد بن عقبة الأنصارى، فشاهدا الطير تحوم على قتلى المؤمنين، فعرفا أن لهذه الطير شأناً، فاقبلا نحوها، فإذا القوم في دمائهم، والخيل التي

---

(١) لم ينج منهم إلا كعب بن زيد فانهم تركوه بين القتلى وفيه رمق من الحياة فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً ، رضى الله عنه وأرضاه.

قتلتهم واقفة. فقال الأنصارى: ماكنت لأرغب بنفسي عن موطن، قُتل فيه المنذر ابن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتِلَ. وأُخذ عمرو الضمري أسيراً، ثم تركوه عندما أخبرهم أنه من مضر(١). ورجع عمرو الضمري إلى النَّبي ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح، مصرع سبعين من أفاضل المسلمين، تذكر نكبتهم الكبيرة، بنكبة أُحد، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح، أما أولئك فذهبوا في غدرة شائنة.

وفي الطريق إلى المدينة، لقى عمرو رجلين، ظنهما من بني عامر، فقتلهما ثأراً لأصحابه، ثم تبين أنهم من بني كلاب، وأنهما معاهدين للمسلمين. ولما قدم عمرو إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر. قال النَّبي ﷺ للناس أن أصحابكم أصيبوا، وأنهم سألوا ربهم، فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بأن لقينا ربنا، فرضيَ عنا، ورضينا عنه. ونزل القرآن فيهم: "بلغوا قومنا عنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه"، ثم نسخ. وقال النَّبي ﷺ لعمرو، لقد قتلت قتيلين ـ لأديهما ـ وانشغل رسول الله ﷺ بجمع دياتهما، من المسلمين وحلفائهم اليهود.

الدروس المستفادة من حادث بئر معونة:

[١] الغدر والخيانة وصف لازم لأهل الكفر.

[٢] فضيلة المنذر بن محمد الأنصارى، إذ قاتل وحده طلباً للشهادة، ففاز بها، فرضى الله عنه وأرضاه.

[٣] مشروعية القنوت في الصلاة، للدعاء على الظلمة، ولرفع البلاء النازل على المؤمنين.

[٤] فضل شهداء بئر معونة لنزول القرآن فيهم.

[٥] نسخ التلاوة.

---

(١) أعتقه عامر بن الطفيل عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

[٣] غزوة بني النضير:

كانت غزوة بني النضير، أثراً من أثار غزوة أحد، لأنها وقعت في أعقابها، في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة النبوية المشرفة. في تلك الفترة العصيبة، التي كان المسلمون يعانون فيها من أثار الهزيمة، ولاسيما بعد أن ظهرت بوادر الغدر من المشركين، في واقعتي الرجيع وبئر معونة، وذهب ضحية الغدر فيها عدد كبير من الصحابة والقراء.

سبب الغزوة:

ذهب رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعين بهم في دية الرجلين، اللذان قتلهما عمرو بن أمية، ولم يكن يعرف أن بينهما وبين رسول الله ﷺ عقد وحلف. وأجاب بنو النضير رسول الله ﷺعلى طلبه، بقولهم: نعم، نحن نعينك على ذلك. ووجدوا فيما بيبهم أن الفرصة قد حانت، لقتل رسول الله ﷺ . فَهْمَ رجل منهم، يدعى عمرو بن جحاش بالذهاب إلى أعلى الدار، ليلقى حجراً على رسول الله ﷺ . فأعلم اللهُ رسوله ﷺ بمكرهم، وتدبيرهم. فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعلم أصحابه أن يهود بني النضير قد نقضوا مابينهم وبينه من عهد. وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (١١) ﴾ [المائدة : ١١] .

قبل المعركة :

أرسل رسول الله ﷺ إلى يهود بني النضير، محمد بن مسلمه قائلاً: "أن أخرجوا من بلدى، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رُؤِىَ بعد ذلك ضربت عنقه" . فَبعث إليهم المنافقون، وعلى رأسهم ابن أُبي ـ كبير المنافقين ـ الذي قال لهم: لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصنكم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون

معكم حصونكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم بني قريظة وحلفاؤكم من غطفان. فطمع حُيَيّ بن أخطب، فيما قال ابن أُبي، وأرسل إلى رسول الله ﷺ، إنا لا نخرج من ديارنا، فأصنع ما بدا لك. وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) ﴾ [الحشر: ١١-١٥].

المعركة والحصار:

كَبَّرَ رسول الله ﷺ، وكَبَّرَ المسلمون، لتكبيره وسار إليهم في أصحابه، وأعطى الراية لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

رأت بني النضير، رسول الله ﷺ فدخلوا حصونهم، وتحصنوا بها، واعتزلتهم بنو قريظة، وخذلهم ابن أُبي وحلفاؤهم من بني غطفان. فحاصرهم رسول الله ﷺ، ست ليال، وقطع نخلهم، ثم قذف الله في قلوبهم الرعب، فطلبوا أن يكف عنهم، وقالوا: نحن نخرج من بلادك. فقال رسول الله ﷺ: لا أقبله اليوم، ولكن أخرجوا منها، ولكم دماؤكم، وما حملت الإبل، إلا الحلقة [١]. فنزل اليهود على ذلك، فحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، حتى أن أحدهم ليهدم سقف بيته، ويحمل بعض أخشابه. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ

(١) الحلقة: أي السلاح.

فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) ﴾ .

[الحشر : ٢-٤] .

الفـئ:

كانت أموال بني النضير، خاصة لرسول الله ﷺ يضعها حيث يشاء، قال تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ﴾ [الحشر : ٧- ٨] .

فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين دون الأنصار، إلا رجلين من الأنصار، كان محتاجين هما سهل بن حنيف وأبو دجانة. وأسلم رجلان من بني النضير على أموالهما؛ هما أبو سعيد بن وهب ويامين بن عمير بن كعب "ابن عم عمرو ابن جحاش، الذي حاول قتل النبي" . وقد جعل يامين، مكافأة لمن يقتل عمرو بن جحاش، وقد تم ذلك.

الدروس المستفادة من غزوة بني النضير:

[١] بيان الكمال المحمدى، في الوفاء بالعهود، والألتزام التام بالمعاهدات.

[٢] أن نقض المعاهدات، سجية من سجايا اليهود.

[٣] تقرير مبدأ أن نقض المعاهدة أعلان للحرب.

[٤] قد تقضي الضرورة هدم الجسور وقطع الأشجار في بعض الأحيان.

[٥] بيان أن الفيء خلاف الغنيمة.

ملخص أهم أحداث العام الرابع من الهجرة النبوية المشرفة :

[١] وقوع حادثتين مؤلمتين هما؛ حدث الرجيع المؤلم وحدث بئر معونة الجلل.

[٢] اجلاء يهود بني النضير عن الجزيرة العربية.

[٣] زواج رسول الله ﷺ بزينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية والملقبة بأم المساكين.

[٤] وفاة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسود المخزومى، ابن عمة رسول الله ﷺ.

[٥] زواج رسول الله ﷺ بأم سلمة رضي الله عنها، بعد وفاة زوجها أبي سلمة وانقضاء عدتها.

[٦] ولادة الحسين بن عليّ رضي الله عنه.

obeikandl.com

العـــام الخامس
من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غزوة دومة الجندل [١] :

سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ علم أن بهذا المكان مجموعة كبيرة من الناس،يظلمون من مر بهم، ويريدون الإقتراب من المدينة .فدعا أصحابه إلى الخروج فخرجوا في شهر ربيع الأول سنة ٥ هـ،واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفَطة الغفارى .وكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار،ومعهم هاد اسمه "مذكور" . فلما اقتربوا من المكان، هجموا على الماشية والرعاه، وأصابوا ما أصابوا، وتفرق من كان هناك .ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يلق أحد هناك . وأقام رسول الله ﷺ بعض أيام، بث فيها السرايا والعيون، وأصاب منهم محمد بن سلمه، وقد عرض عليه الإسلام، فأسلم، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، بعد أن مكث شهراً .

وكانت هذه الغزوة، بمثابة مقاومة ومواجهة للظالمين، الذين يؤذون المارين بهذا المكان، كما كان فيها إعلان عن قوة الإسلام، وقدرته على مواجهة من يعادي المسلمين، ونشرة دعوة الإسلام، بين سكان البوادي والأطراف، وكانت أيضاً بمثابة البداية للفتوحات المقبلة .

الدروس المستفادة من غزوة دومة الجندل:

- بيان ما أُوتى رسول الله ﷺ من كمال السياسة؛ فقد حقق خروجه إلى دومة الجندل عدة أهداف منها؛ إرهاب الروم، ورفع الظلم، والدعوة إلى الإسلام .
- بيان مصداق قوله ﷺ : **"نصرت بالرعب مسيرة شهر"** .

---

(١) دومة الجندل واحة على الحدود، تقع ما بين الحجاز والشام، وتبعد عن المدينة بمسافة خمس عشرة ليلة .

[٢] غزوة بني المصطلق أو المريسيع (١) :

بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق، جمعوا جموعهم لحربه في شعبان من السنة الخامسة(٢) ، فخرج ﷺ في سبعمائة من أصحابه، واستعمل على المدينة، أبا ذر الغفارى رضي الله عنه. ولما وصلوا عند المريسيع، نازلهم وهم في غفلة، فقتلوا الطائفة المقاتلة منهم، وأسروا الباقين، وكان من جمله السبي جويرية (٣) ، ولم يستشهد من المسلمين إلا هشام بن صبابه، الذي قتله أحد الأنصار خطأ، ظناً منه أنه من الأعداء.

ولقد كانت غزوة بني المصطلق غزوة موفقة، في كل خطواتها، إلا أن المنافقين استغلوا حدثين، حدثا بعد هذه الغزوة، ليكدروا بهاء هذا النصر.

أما الحادث الأول: فقد كان خلافاً على الماء، بين أجير لعمر بن الخطاب وحليف لبني الخزرج. اشتجر بسببه الرجلان، فتضاربا وصرخ الحليف: يامعشر الأنصار، وصرخ الأجير: يامعشر المهاجرين، وأوشكت الفتنة أن تقوم بين المهاجرين والأنصار، ولكن رسول الله ﷺ خرج مسرعاً، وهو يقول: ما بال دعوى الجاهلية؟ وهدأ من ثورة الفريقين. ولكن عبد الله بن أبى، ثار وجعل يقول لأصحابه، والله، مارأيت كاليوم مذلة، لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجن الأعز منها الأزل. وكان في القوم زيد بن الأرقم، وهو يومئذ غلام، فحدث رسول الله ﷺ بذلك، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، وأذن في الرحيل. وارتحل في ساعة، لم يكن

---

(١) المصطلق؛ لقب جزيمه بن كعب وهم بطن من خزاعة. والمريسبع؛ ماء بنى خزاعة.

(٢) ذكر ابن إسحاق وبعض علماء السيرة، أن غزوة بنى المصطلق، كانت فى العام السادس من الهجرة. والصحيح الذى ذهب إليه عامة المحققين، أنها كانت شعبان من العام الخامس للهجرة. ومن ابرز الادلة على ذلك، أن سعد ابن معاذ كان حياً فى هذه الغزوة.

(٣) جويرية، بنت الحارث بن أبى ضرار، سيد الحى، وقعت فى سهم ثابت بن قيس أو فى سهم أبن عم له. فطلبت من ماكها أن يكاتبها لتتحرر. وأتت النبى ﷺ تستعينه فى كتابتها، فاراد الرسول أن يتآلف فؤادها إلى الإسلام، فقال لها: هل لك فى خير من ذلك؟ قالت: وما هو يارسول الله؟ قال ﷺ : اقضى عنك كتابك وأتزوجك، قالت: نعم، يارسول الله. فكان زواجها بركة على بنى قومها جميعاً، إذ أطلق المسلمون من بأيديهم من الأسرى، إكراماً لصهر رسول الله ﷺ فكان ذلك سبباً فى أسلام أكثرهم.

obeikandl.com

يرتحل فيها، ليقطع ماالناس فيه من التفكير، في الفتنة. وجاء أسيد بن حضير رضي الله عنه، فسلم على النَّبي ﷺ وقال: يا نبي الله، أنت والله تخرجه، إن شئت، فأنك العزيز،وهو الذليل،سمع ابن أبي بالخبر،فجاء يركض إلى رسول الله ﷺ، ويحلف بالله، ماقال ماقاله زيد،ولا تكلم به حتى قال القوم: يارسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أخطأ، ونزل قول الله تعالى:﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** (١) ﴾ [المنافقون: ١]، فأخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن الارقم، ثم قال له: هذا الذي أوفي لله بأذنه.

أما الحادث الثاني: فهو حادث الإفك، والافتراء على عائشة ـ رضي الله عنها ـ بما برأها الله منه. ذلك أن رسول الله ﷺ في أثناء عودته، من تلك الغزوة، نزل منزلاً في الليل، فذهبت عائشة ـ رضي الله عنها ـ في الخلاء لتقضي حاجتها، فسقط عقد لها، في الطريق، فرجعت إليه، تلتمسه، فأبطأت. وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، دون أن يعلم، أو يعلم أحد من الركب، بغياب عائشة، فوضعوا هودجها على بعيرها، وهم يظنون أنها فيه، ثم اسرعوا في السير، وخلفوها وراءهم. فلما عادت عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلى مكان الركب، فلم تجد فيه أحداً، فتلففت بجلبابها، وجلست في مكانها، وهي على يقين، بأنهم عائدون إليها، حين يفتقدونها، ثم غلبها النوم، فنامت. وكان صفوان بن المعطل ـ رضي الله عنه ـ وراء الركب، يتابعه، ليلتقط ما عسى أن يكونوا قد خلفوه من متاع، أو شيء. فلما رأى عائشة ـ رضي الله عنه ـ عرفها، فجعل يسترجع، قائلاً: "إنا لله وإنا إليه راجعون" حتى استيقظت، فقدَّم لها بعيره، فركبت، وانطلق يقوده بها، حتى دخل المدينة في نحر الظهيرة. فلما رآها عبد الله بن أُبي، سأل من هذا؟، فقيل له: عائشة ـ رضي الله عنها ـ فأخذ يتكلم في حقها، وكثر كلام المنافقين، في شأن عائشة وصفوان، وأُرجفت المدينة، كلها بالإفك وكان ممن تكلم في هذا، مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش. ثم نزل الوحي من السماء ببراءتها قال تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم**

مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور: ١٦ -١٨] . ثم أمر رسول الله ﷺ بمسطح وحسان وحمنة، فضربوا حدهم. وتوعد الله، الذين جاءوا بهذا الإفك، بالعذاب العظيم.

الدروس المستفادة من غزوة بني المصطلق:

[١] تجلى الحكمة المحمدية في إخماد نار الفتنة، بين المهاجرين والأنصار.

[٢] بيان خبث وخطر المنافقين.

[٣] مشروعية أخذ المجاهد امرأته معه للجهاد،إذا كانت الظروف مواتية لذلك.

[٤] بيان أن رسول الله ﷺ لا يعلم الغيب، حتى يُعْلِمَهُ أياه المولى عز وجل.

[٥] بيان صبر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، على ما تعرضت له من بلاء.

[٦] حرمه قذف المؤمنين والمؤمنات، وعلى المؤمنين أن يحسنوا الظن باخوانهم وألا يندفعوا وراء الأراجيف.

[٧] بيان أقامة حد القذف، على الذين يتكلمون في أعراض الناس. إذ أقيم الحد على مسطح وحسان وحمنه ـ رضي الله عنهم ـ فطهرهم المولى عز وجل بذلك، ولم يقم الحد على أبن أُبي ، لأنه كافر لا تطهره الحدود.

[٨] عدم منع النفقة على المذنبين فقد استجاب أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور :٢٢] . فرد أبو بكر إلى مسطح، ما كان يجريه عليه من نفقة.

[٣] غزوة الأحزاب (الخندق):

سبب الغزوة:

وقعت هذه الغزوة في شهر شوال، في السنة الخامسة من الهجرة. وسببها أن قريشاً كانت تود أن تنال من رسول الله ﷺ والمسلمين، بعد ما أصابها من خزى ونكسة، لأنها نكصت عن الخروج في بدر الأخرى، كما كان الأعراب الذين نال منهم النَّبي ﷺ وأصحابه، يرغبون في الانتقام، وكان يهود بني قينقاع وبني النضير الذين أجلاهم النَّبي ﷺ عن المدينة، في غيظ فسعوا للقضاء على المسلمين، الذين أجلوهم، ونسوا عفو رسول الله ﷺ عنهم.

فخرج وفد من اليهود ، وعلى رأسهم حُيي بن أخطب النضري وسلام بن أبي الحقيق وكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق ونفر من وائل حتى قدموا قريشاً، فدعوهم إلى حرب النَّبي ﷺ ، فرحبت قريش، وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن الغزارى، وتجمعت هذه القوى لمحاربة المسلمين فكانت غزوة الأحزاب.

حفر الخندق:

لما علم رسول الله ﷺ بذلك، لم يأخذ قراراً، قبل أن يستشير أصحابه، كما هى عادته، فأشار عليه سلمان الفارسى رضي الله عنه بحفر خندق حول المدينة، من الجهة التي يتوقع أن يأتي منها العدو. فأخذ رسول الله ﷺ بمشورة سلمان رضي الله عنه وأخذ يطبقها بالفعل، ويعمل مع المسلمين بنفسه، تشجيعاً لهم، وتحصيلاً للثواب.

وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وعدد الذين تجمعوا من قريش والأحزاب والقبائل عشرة آلاف. وبينما المسلمون يعملون في حفر الخندق، إذا بصخرة اشتدت عليهم، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ المعول، وقال: باسم الله، وضرب ضربه، فكسر جزء من الصخرة، فكبر صلوات الله وسلامه عليه، وقال "بسم الله" ، وضرب ضربة ثانية، فكسر جزءاً آخر من الصخرة، فكبر صلوات الله

وسلامه عليه، وقال: "أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا". ثم قال "باسم الله". وضرب ضربته الثالثة، ثم كبر وقال: "أعطيت مفاتيح فارس. والله، إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن". ثم قال لسلمان الفارسي: "هذه فتوح يفتحها الله بعدي ياسلمان". وكان المسلمين يرتجزون وهم يحفرون الخندق قائلين:

نحن الذين بايعوا محمد ... على الإسلام ما بقينا أبداً

فيجيبهم قائلاً:

اللهم إنه لاخير إلا خير الآخره ... فبارك اللهم فى الأنصار والمهاجرة

ومن المعجزات التي أجراها الله تعالى، على يد رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، ما رُوِيَ عن جابر رضي الله عنه قال: أنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النَّبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال أنا نازل، وقام وبطنه معصوب بحجر ـ وقد لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ـ فأخذ النَّبي ﷺ المعول، فضرب فعاد كثيباً أهيل (أو أهيم). فقلت: يارسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتى، رأيت بالنَّبي ﷺ شيئاً، ما كان لي في ذلك صبر، فعندك شئ؟ قالت: عندي شعير وعناق (١)، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النَّبي ﷺ والعجين قد إنكسر والبرمة بين الأثافي (٢)، كادت أن تنضج، فقلت: طعيم لى، فقم أنت يارسول الله، ورجل أو رجلان. فقال ﷺ: "كم هو؟" فذكرت له. قال ﷺ: كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة والخبز من التنور: حتى آتى. ثم نادى ﷺ على المهاجرين والأنصار، وقال لهم قوموا. وفي طريق أخر: فصاح النَّبي ﷺ: يا أهل الخندق، إن جابراً قد صنع سوراً (٣)، فحي هلا بكم. فلما دخل جابر على امرأته، قال: ويحك، جاء

---

(١) عناق: الأنثى من المعز.

(٢) الأثافى: الحجارة التى يوضع عليها القدر.

(٣) سوراً: الصنيع العام من الطعام.

النَّبي ﷺ والمهاجرين والأنصار ومن معهم. قالت: هل سألك كم طعامك؟ قال: نعم. قالت: الله، ورسوله أعلم. ثم جاء النَّبي ﷺ فقال: أدخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويخمر البرمة، والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف، حتى شبعوا، وبقي بقية، فقال لها: كلي هذا، وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة. وفي رواية أخرى فأقسم بالله، لقد أكلوا حتى تركوا، وانصرفوا، وإن برقتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو (١).

نقض بني قريظة للعهد:

خرج حُيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظي، فأغراه بنقض العهد مع رسول الله ﷺ وقال له: جئتك بقريش على قادتها وسادتها، وبغطفان على قادتها وسادتها، قد عاهدوني وعاقدوني، على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتني والله، بذل الدهر، ويحك دعني، وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء، ولم يزل حيي بكعب حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد.

وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ فأرسل سعد بن معاذ، ليتحقق من الخبر، وأوصاه أن لايزيع ذلك، إذا كان الخبر حقاً حتى لا يضعف عزيمة الجند، أو يفت في عضدهم. فلما أستطلع سعد الخبر ورآه حقاً، عاد إلى النَّبي ﷺ وأسر إليه أن بني قريظة قد نقضوا العهد فعلاً، ولكن الخبر انتشر بطريقة أخرى. فأصيب المسلمون بذعر شديد، واضطربوا اضطراباً جعل قلوبهم تخفق في صدورهم وتكاد تبلغ حناجرهم، إذا أدركوا أنهم وقعوا بين شقي رحى. وسأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ : يارسول الله هل من شئٍ نقوله؟ فقال ﷺ :نعم، قولوا: "اللهم أستر عوراتنا وآمن روعاتنا".

---

(١) رواه البخاري ٦ / ٤٦ .

الحصار:

تحركت خيل من قريش، على رأسها عمرو بن ود، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله، إن هذه لمكيدة، ماكانت العرب تكيدها ، ثم قصدوا مكاناً ضيقاً من الخندق، فأقتحموا منه. وما أن رآهم المسلمون، حتى خرج عليّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين، ووقفوا بينهم وبين الثغرة.

المبارزة والمناوشات:

خرج عمرو بن ود، وكان اسمه يرعب أبطال العرب قاطبة لما كان عليه من فروسية، وأخذ ينادي في صفوف المسلمين للمبارزة. وطلب عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ إذن النَّبي ﷺ بالخروج إليه ومبارزته، فرفض النَّبي ﷺ أن يأذن لـ "علىّ" ضنناً به، وقال له: "إنه عمرو بن ود ياعلى"، فألح علىّ ـ كرم الله وجهه ـ على رسول الله ﷺ ، كي يأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ ، وهو يدعو الله تعالى، أن يحفظه ويرعاه، وألبسه درعه، وقلده سيفه "ذا الفقار". وتصادم الفارسان وضرب "عمرو" "علياً" بسيفه ضربة شديدة، فتلقاها "علىّ" بدرقته، فغرز السيف فيها، وعاجله "علىّ" بضربة من سيفه "ذي الفقار" قدت رأسه نصفين حتى عنقه، فسقط فارس المشركين المغرور صريعاً، وهلل المسلمون، وكبروا، وإستاء الأحزاب، وأسفوا.

وظلت المناوشات بين الطرفين قائمة، على هذه الحال ما يزيد على عشرين ليلة. وفي هذه المراماة، رُمِىَ سعد بن معاذ بسهم في أكحله. فدعا سعد: "اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلىَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فانى أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن بقي من حرب قريش شئ فأبقني لهم حتى أجاهدهم فيك، وأن كنت وضعت الحرب فأفجرها وأجعل موتتي فيها". وقال في أخر دعائه: ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة.

ولقد فاتت بعض الصلوات عن رسول الله ﷺ والمسلمين أثناء هذه المناوشات، فاستاء رسول الله ﷺ لذلك. ففي الصحيحين عن جابر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء يوم الخندق، فجعل يسب كفار المشركين، وقال يارسول الله: ما كدت أن أصلي، حتى كادت الشمس أن تغرب، فقال النَّبي: والله، ماصليتها، فنزلنا مع النَّبي بطحان، فتوضأ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ماغابت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب (١) .

رحمة نبوية تتجلى في عرض صالح:

لما رأى رسول الله ﷺ صعوبة الموقف، وشدة البلاء، وما أصاب المسلمين من مخاوف، بعث ﷺ إلى عيينة بن حصن، قائد غطفان، يقول له: "إن لك ثلث تمر المدينة على أن ترجع بمن معك من غطفان، فرضى عيينة بذلك. ولما علم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة بذلك، أتيا رسول الله ﷺ وقالا له: يارسول الله، أهذا الذي بعثت به إلى عيينة، أمر قد أمرك الله به، أم هو صنيعة تصنعها لنا؟ ، فقال النَّبي ﷺ: "لا، بل هو صنيعة أصنعها لكم، من شدة الأمر عليكم" . فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يارسول الله، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لانعبد الله ولا نعرفه، وكان هؤلاء القوم لا يطمعون أن يأكلوا تمرة واحدة من تمر المدينة، إلا عن قرى أو بيع، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا بك وبه سبحانه نعطيهم أموالنا؟ والله لانعطيهم إلا السيف، حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

فقال رسول الله ﷺ : **"ياسعد أنت وذاك"** . وكان رسول الله ﷺ لا يفتر عن الدعاء والتضرع والاستغاثة ويقول: **"اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم"** (٢) .

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٥٩٠ .

(٢) رواه البخارى.

وكفى الله المؤمنين القتال:

شاء العلي القدير أن تُهزم جموع المشركين بوسيلتين لا دخل للمسلمين فيهما:

الوسيلة الأولى: أتى رجل من المشركين، اسمه نعيم بن مسعود، إلى رسول الله ﷺ مسلماً،وعرض عليه تنفيذ أية أمر يريده النَّبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ له: "إنما أنت رجل واحد فينا،ولكن خذل عنا، إن استطعت،فإن الحرب خدعة". فخرج نعيم بن مسعود،فأتى بني قريظة فأقنعهم ـ وهم يحسبونه لايزال مشركاً ـ أن لا يتورطوا مع قريش في قتال،حتى يأخذوا منهم رهائن، كي لا يولوا الأدبار ويبقوا وحدهم في المدينة،دون أي نصير لهم على محمد وأصحابه. فقالوا له: "إنه الرأى" .ثم خرج حتى أتي قريشاً، فأنبأهم أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا، وأنهم قد اتفقوا خفية مع رسول الله ﷺ على أن يختطفوا عدداً من أشراف قريش وغطفان، فيسلموهم له ليقتلهم، فأن أرسلت إليكم بني قريظة يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فإياكم أن تسلموهم رجلاً منكم. ثم خرج حتى آتى غطفان، فقال لهم مثل الذي قال لقريش. وهكذا تألب بعضهم على بعض، واختفت الثقة بينهم، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر، بالغدر والخيانة.

أما الوسيلة الثانية: فهي ريح هوجاء مخيفة،في ليلة مظلمة باردة، جاءت فقلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، وقطعت أوتادهم. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)** ﴾ [الأحزاب: ٩-١١] .

Opel.kandil.com

روى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب، وأخذتنا ريح شديدة وقر، فقال رسول الله ﷺ: " **ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة**. فسكتنا، ولم يجبه منا أحد، ردد ذلك رسول الله ﷺ ثلاثاً، **ثم قال: قم ياحذيفة، فأتنا بخبر القوم**. فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم. فقال رسول الله ﷺ: **ياحذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ما يصنعون، ولا تحدث شيئاً، حتى تأتينا**". قال فذهبت فدخلت في القوم والريح، وجنود الله "الملائكة" تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم ناراً ولا قدراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يامعشر قريش لينظر كل امرئ من جليسه؟ قال حذيفة: فبادرت فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبى، فقلت: من أنت؟ ، قال: فلان بن فلان. ثم قام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، إنكم والله، ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل. ولولا عهد رسول الله ﷺ إلىَّ "لا تحدث شيئاً حتى تأتينا"، ثم شئت لقتلته بسهم. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بخبر القوم. فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة، كانت عليه يصلي فيها. وفي صباح اليوم التالى، كان المشركون كلهم قد ولوا الأدبار، وعاد رسول الله ﷺ وصحبه إلى المدينة. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا** (٢٥) ﴾.

[الأحزاب: ٢٥].

الدروس المستفادة من غزوة الأحزاب:

[١] غدر اليهود وكيدهم، فهم الذين أثاروا وألّبوا وجمعوا الجموع والأحزاب.

[٢] صدق الألتجاء إلى الله وإخلاص العبودية له، هى الركيزة الأولى لتحقيق النصر، فبها أنتصر المسلمون في غزوة الخندق، كما انتصروا في بدر.

[٣] الحكمة ضالة المؤمن، فمن وجدها فهو أحق بها. فقد أعجب رسول الله ﷺ بفكرة حفر الخندق (١) الذي أقترحها عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه، ودعا أصحابه إلى القيام بتحقيقها.

[٤] العدالة والمساوة، هما الأساس الذي تبثق منه القيم والمبادئ الإسلامية. فقد عمل رسول الله ﷺ مع الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ في حفر الخندق. فكانوا يرتجزون لينشط بعضهم بعضا فيرتجز معهم، ويتعبون ويجوعون، فيكون ﷺ أولهم تعباً وجوعاً.

[٥] محبة رسول الله ﷺ الشديدة لأصحابه والشفقة عليهم. ويبدوا ذلك واضحاً من دعوته لهم جميعاً إلى طعام جابر رضي الله عنه.

[٦] مشروعية الأخذ بمبدأ الشورى في كل مالا نص فيه. فقد استشار رسول الله ﷺ في صلح غطفان، وأخذ برأى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة.

[٧] فضل سلمان الفارسى، في ارشاد المؤمنين إلى حفر الخندق.

[٨] وجوب قضاء الصلاة المكتوبة، بعد فواتها، سواء كان سبب الفوات نوماً أو إهمالاً أو تركاً عمداً.

[٩] تجلى آيات النبوة المحمدية عند حفر الخندق،وما أعلنه وتنبأ به ﷺ عند كل بارقة من فتوحات فارس والروم والتي تحققت بعد ذلك.

[١٠] عدم الأخذ بنصائح العدو مهما كان.

[١١] أهمية استطلاع حال العدو.

[١٢] بطولة عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ في منازلته عمرو بن ود، وقتله إياه.

[١٣] عِظَمّ دور نعيم بن مسعو،د في تخذيل كل من اليهود والمشركين.

[١٤] فضل حذيفة بن اليمان، وفوزه بمرافقة النَّبي ﷺ في الجنة.

---

(١) كانت غزوة الخندق أول غزوة فى التاريخ العربى والإسلامى يحفر فيها الخنادق الذى كان متعارفا عليه بين الأعاجم.

[٤] غزوة بني قريظة:

جاء في الصحيحين أن النَّبي ﷺ لما رجع من غزوة الخندق، ووضع السلاح، واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: "قد وضعت السلاح، والله، ماوضعناه، فاخرج إليهم. قال رسول الله ﷺ : فإلى أين؟ قال: ههنا، وأشار إلى بني قريظة. فخرج النَّبي ﷺ إليهم (١) . ونادى رسول الله ﷺ في المسلمين: **"ألا يصلينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة"** . فسار الناس، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بلى، نصلي لم يرد رسول الله ﷺ منا ذلك. ثم ذكروا ذلك النَّبي ﷺ فلم يعنف واحد منهم (٢) .

الحصـــار:

حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة، وهم محصنون في حصونهم، خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. فلما رأوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم، قال كعب بن أسد لليهود: "يامعشر اليهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثة، فخذوا أيها شئتم. قالوا: فما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل، ونصدقه، فوالله، لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم، وأبنائكم ونسائكم. قالوا: لا نفارق حكم التوراه أبداً. قال: فهلم، فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه، رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك لم نترك ورائنا نسلاً نخشى عليه. قالوا، فما ذنب المساكين؟ ، قال : فإن أبيتم هذه أيضاً، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمِنونا فيها، فانزلوا، لعلنا نصيب منهم غرة، فأبوا ذلك أيضاً" .

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه البخارى.

عرض مرفوض:

لما اشتدت حيرة بني قريظة، وعظمت مخاوفهم، بعثوا رجلاً منهم يقال له، شاس بن قيس، ليفاوض رسول الله ﷺ في شأنهم. فنزل وكلم رسول الله ﷺ وعرض عليه، أن يعاملهم معاملة بني النضير، أي يخرجون بأموالهم ونسائهم وأولادهم ويتركون السلاح،فأبي رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه. فبعثوا إليه يطلبون أن يبعث إليهم أبا لبابة، ليستشيروه، وكان أبو لبابة من الأوس، وهم حلفاء بني قريظة. فبعث النَّبي ﷺ إليهم، أبا لبابة.

عثـــرة كريـــم:

دخل أبو لبابة على بني قريظة حصنهم، وما أن رأوه، حتى قام إليه الرجال، وجهش النساء والصبيان بالبكاء، فرق لهم أبو لبابة. ثم قالوا له: ياأبا لبابة أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح. ثم استدرك أبو لبابة، وشعر بأنه قد أذنب، في استباقه حكم رسول الله ﷺ ، فخرج من بينهم على الفور، وتوجه إلى مسجد رسول الله ﷺ في المدينة، وربط نفسه إلى عمود من أعمدته، نادماً على ما فرط في جنب الله تعالى وجنب رسول الله ﷺ . وعاهد المولى عز وجل أن لا يطأ بني قريظة أبداً، وألا يرى في بلد خان فيه الله ورسوله. وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)** ﴾ [الأنفال :٢٧-٢٨] ، وكان أبو لبابة قد أقسم أن لا يفك نفسه حتى يتوب الله عليه، فكان لايفك من قيده إلا للصلاة ثم يعود بعدها إلى عاموده، وقد عرف ذلك العامود بـ"اسطوانة أبي لبابة" .

ولما بلغ النَّبي ﷺ خبره قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما وقد فعل مافعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه، حتى يتوب الله عليه. وفي ليلة استيقظ رسول الله ﷺ ضاحكاً مستبشراً. فقالت له أم سلمة : م تضحك يارسول الله؟

قال ﷺ : تيب على أبي لبابة. فقالت: ألا أبشره يارسول الله؟ قال :بلى. فقامت أم سلمة على باب حجرتها، وقالت: يا أبا لبابة أبشر، فقد تاب الله عليك. فسار الناس إليه ليطلقوه. فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده. فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجاً إلى الصلاة، أطلقه.

الحكم من فوق سبع طباق:

اضطرت بنو قريظة إلى النزول على حكم رسول الله ﷺ،فجعل رسول الله ﷺ الحكم لواحد من رؤساء الأوس، وهو سعد بن معاذ. وكان سعد قد أصيب بسهم في غزوة الخندق، فأرسل إليه رسول الله ﷺ ، ولما دنا سعد بن معاذ، قال رسول الله ﷺ للأنصار: قوموا إلى سيدكم أو خيركم، ثم قال إن هؤلاء ـ يقصد بني قريظة ـ قد نزلوا على حكمك. قال سعد: تقتل مقاتلهم وتسبى ذريتهم. فقال له النَّبي ﷺ : "**قضيت بحكم الله تعالى**" [1] . وفي رواية "**لقد حكمت فيهم حكم الله من فوق سبع سماوات**" . ثم قتلوا وهم بين السبعمائة والثمانمائة.

ولما انقضى أمر بني قريظة، انفجر جرح سعد بن معاذ من السهم الذي أصابه يوم الخندق، فمات رضي الله عنه شهيداً. وجاء جبريل إلى النَّبي ﷺوقال له: من الذي مات من أصحابك ففتحت له أبواب السماء واهتز لموته العرش؟ فذهب رسول الله ﷺ إلى مكان سعد فوجده قد مات. وكان سعد بديناً، فلما حمل في نعشه، قال حاملوه: ما وجدنا أخف منه حملاً. فقال النَّبي ﷺ : إن له حملة غيركم، وإن الملائكة قد استبشرت بروح سعد، واهتز له العرش، وقال ﷺ : "**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**" .

الدروس المستفادة من غزوة بني قريظة:

[١] تأكد اليهود من نبوة محمد ﷺ ، كما ظهر ذلك في كلام كعب بن أسد، أحد أشرافهم وصاحب العقد والحل بينهم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

[٢] بيان أن الصدق منجاة.

[٣] بيان عاقبة الغدر والخيانة.

[٤] مشروعية الاجتهاد في الفروع.

[٥] جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم، والرجوع في ذلك إلى حكم مسلم عادل.

[٦] جواز قتل من نقض العهد.

[٧] جواز القيام لأهل الفضل والعلماء إكراماً لهم.

[٨] فضل سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي استجاب الله لدعاؤه، واهتز عرش الرحمن لموته.

ملخص أهم أحداث العام الخامس من الهجرة النبوية المشرفة :

[١] أهم الغزوات؛ غزوة دومة الجندل، وبني المصطلق، والخندق "الأحزاب"، وبني قريظة.

[٢] وفاة سعد بن معاذ، فرضى الله عنه وأرضاه.

[٣] ابطال عادة التبني نهائياً.

[٤] زواج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بعد طلاقها من زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولاه.

[٥] فرضية الحجاب، صبيحة عرس زينب بنت جحش، الذي تولى المولى عز وجل عقد نكاحها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

العـــام السادس
من الهجرة النبوية المشرفة

[١] صلح الحديبية:

عندما أخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئاً فشيئاً، وبدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين، في أداء عباداتهم في المسجد الحرام. رأى رسول الله ﷺ في المنام ـ وهو بالمدينة ـ أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام، وأخذ مفتاح الكعبة، واعتمروا، وطافوا، وحلق بعضهم، وقصر بعضهم. ولما أنبأ أصحابه بذلك فرحوا، وظنوا أنهم داخلوا مكة عامهم هذا. وأخبر ﷺ أصحابه أنه معتمر، فتجهزوا للسفر.

المسلمون يتحركون إلى مكة:

ركب رسول الله ﷺ القصواء، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، خرج ﷺ من المدينة يوم الإثنين، غرة ذي القعدة سنة ٦ هـ، ومعه زوجته أم سلمة، في ألف وربعمائة، وقيل ألف وخمسمائة، ولم يخرج معه بسلاح، إلا سلاح المسافر، والسيوف في القرب. وتحرك في اتجاه مكَة، فلما كان بذي الحليفة، قلد الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة، ليأمن الناس من حربه، وبعث بين يديه، عيناً له من خزاعة، أسمه بشر بن سفيان، يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريباً من عسفان، أتاه بشر فقال: إن قريشاً قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لكم جموعاً، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت. واستشار النَّبي ﷺ أصحابه وقال: أترون نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا، قعدوا موتورين محزونين، وإن نجوا يكن عنق قطعها الله، أم تريدون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جئنا معتمرين، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فوافق النَّبي ﷺ .

صد قريش للمسلمين:

وصل النَّبي ﷺ من عيونه،أن خالداً بن الوليد يقود مائتي فارس، مرابط بكراع الغميم في الطريق الرئيسى، الذي يوصل إلى مكة. وحاول خالد صد المسلمين، فقام بفرسانه إزاءهم، ورأى المسلمين في صلاة الظهر يركعون ويسجدون، فقال: لقد كانوا على غرة، لو كنا حملنا عليهم، لأصبنا منهم، ثم قرر أن يميل على المسلمين، وهم في صلاة العصر ميلة واحدة، ولكن الله أنزل حكم صلاة الخوف ففاتت الفرصة خالداً.

وأخذ رسول الله ﷺ طريقاً وعراً بين الشعاب، وسلك ذات اليمين، بين ظهري الحمش في طريق على ثنية المرار (١) محاولاً اجتناب اللقاء الدامى، وترك الطريق الرئيسي الذي يفضي إلى الحرم ماراً بالتنعيم، تركه إلى اليسار. ولما رأى خالد الجيش الإسلامى، قد خالفوا عن طريقه، انطلق يركض نذيراً لقريش.

وعندما وصل رسول الله ﷺ ثنية المرار، بركت راحلته، فقال الناس: حل حل(٢)،فلم تتحرك، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النَّبي ﷺ: "**ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل**"، ثم قال: "**والذي نفسي بيده، لايسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**"، ثم زجرها فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد (٣) قليل الماء، إنما يتبرضه (٤) الناس تبرضاً، فلم يلبث أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فإنتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله، مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا (٥).

---

(١) ثنية المرار: طريق فى الجبل تشرف على الحديبية من أسفل مكة.

(٢) حل حل: اسم صوت كانوا يزجرون به الجمال.

(٣) ثمد: حوض أو حفره.

(٤) يتربضه: يأخذ منه القليل.

(٥) رواه البخارى.

وسيط بين رسول الله ﷺ وقريش:

جاء بديل بن ورقاء الخزاعى، في نفر من خزاعة ـ وكانت خزاعة موضع سر ونصح لرسول الله ﷺ ـ للنبي ﷺ فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤى، نزلوا مياه الحديبية، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت. قال رسول الله ﷺ : إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم، ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا دخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا (١) ، وإن أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي أو لينفذنّ الله أمره". قال بديل: سأبلغهم ما تقول، فإنطلق حتى أتى قريشاً، فقال لهم إني جئتكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشئ. وقال ذو الرأي منهم: هات ما سمعته، قال: يقول كذا وكذا. فبعثت قريش مكرز بن حفص، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا رجل غادر، فلما جاء وتكلم، قال له مثل ما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش وأخبرهم.

رسل قريــش:

قال رجل من كنانة ـ اسمه الحليس بن علقمة: دعوني آته. فقالوا: آته. فلما أَشرف على النَّبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها، فبعثوها له، واستقبله القوم يلبون. فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء، أن يُصدوا عن البيت. فرجع إلى أصحابه فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت. وما أرى أن يصدوا، وجرى بينه وبين قريش كلام. قال عروة بن مسعود الثقفى: إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها ودعوني آته، فقالوا: آته فاتاه، فجعل يكلمه، فقال له النَّبي ﷺ نحواً من

(١) جموا: أى استراحوا.

قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك: أي محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل سمعت أحد من العرب اجتاح أهله قبلك، وإن تكن الأخرى، فو الله، إني لأرى وجوهاً، ولكني أرى أشواباً (١) من الناس، خلقاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر: امصص بظر (٢) اللات، أنحن نفر عن رسول الله؟ ، قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وجعل عروة يكلم النبي، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضربها المغيرة بنعل السيف، وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا ؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، وكان المغيرة قد صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل،وأما المال فلست منه في شئ (وكان المغيرة بن أخي عروة).

وأخذ عروة يمرق أصحاب رسول الله ﷺ وعلاقتهم به، فرجع إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه، مايعظم به أصحاب محمد محمداً، والله ما تنخم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ، كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها.

محاولة فاشلة لإشعال فتيل الحرب:

لما رأى شباب قريش الطائشون، الطامحون إلى الحرب، رغبة زعمائهم في الصلح، فكروا في خطة تحول بينهم وبين الصلح، فقرروا أن يخرجوا ليلاً،

---

(١) أشواب: أى أخلاط

(٢) البظر: شئ كحلمة الثدى، وهذا كناية عن تيئسه من عدم نصرة النبى ﷺ ، إذ مصه لثدى اللات لا لبن فيه، فهو آيس من الانتفاع به.

ويتسللوا إلى معسكر المسلمين، ويحدثوا أحداثاً تشعل نار الحرب، وفعلاً قد قاموا بتنفيذ هذا القرار. فقد خرج سبعون أو ثمانون منهم ليلاً، فهبطوا جبل التنعيم، وحاولوا التسلل إلى معسكر المسلمين، غير أن محمد بن سلمة ـ قائد الحرس ـ اعتقلهم جميعاً.

ولكن رغبة في الصلح أطلق سراحهم النَّبي ﷺ وعفا عنهم، وفي ذلك نزل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا** (٢٤) ﴾ [الفتح: ٢٤].

عثمان بن عفان رضي الله عنه سفيراً إلى قريش:

أراد رسول الله ﷺ أن يبعث سفيراً إلى قريش، ليوضح موقفه وهدفه من هذا السفر، فدعا عمر بن الخطاب ليرسله إليهم، فاعتذر قائلاً: يارسول الله، ليس لي بمكة أحد من بني كعب، يغضب لي إن أوذيت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وأنه مبلغ ما أردت. فدعاه ﷺ وأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم إنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عماراً، وادعهم إلى الإسلام، وأمره أن يأتي رجالاً بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات، فيبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفي فيه أحد بالإيمان.

انطلق عثمان حتى أتى قريش، فأجاره أبان بن سعيد بن العاص، وحمله على الفرس، ثم بلّغ الرسالة إلى زعماء قريش، فلما فرغ عرضوا عليه أن يطوف بالبيت، فرفض هذا العرض، وأبي أن يطوف حتى يطوف رسول الله ﷺ.

إشاعة مقتل عثمان رضي الله عنه:

احتبست قريش عثمان، ولعلهم أرادوا أن يتشاوروا فيما بينهم في الوضع الراهن، ويبرموا أمرهم، ثم يردوا عثمان بما جاء به من الرسالة، وطال الاحتباس، فشاع بين المسلمين أن عثمان رضي الله عنه قُتِلَ.

فقال رسول الله ﷺ لما بلغته تلك الإشاعة: لانبرح حتى نناجز القوم، ثم دعا أصحابه إلى البيعة، فساروا إليه يبايعونه، على أن لا يفروا، وبايعته جماعة على الموت، وأول من بايعه أبو سنان الأسدي وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثلاث مرات، في أول الناس ووسطهم وآخرهم، وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال: هذه يد عثمان، ولما تمت البيعة جاء عثمان فبايعه، ولم يتخلف عن هذه البيعة إلا رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس.

أخذ رسول الله ﷺ هذه البيعة تحت الشجرة، وكان عمر آخذاً بيده، ومعقل ابن يسار آخذاً بغصن الشجرة، يرفعه عن رسول الله ﷺ وهذه هي بيعة الرضوان التي أنزل الله فيها: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** (١٨) ﴾ [الفتح :١٨] .

إبـــرام الصلــح:

أرسلت قريش سهيل بن عمرو، لعقد الصلح، نظراً لحراجة موقفها، وأكدت عليه أن لايكون في الصلح، إلا أن يرجع عن عامة هذا، حتى لا تتحدث العرب، أنه دخلها عنوة أبداً. فلما رآه النبي ﷺ قال: قد سهل لكم أمركم، أراد القوم الصلح، حين بعثوا هذا الرجل، فجاء سهيل، فتكلم طويلاً، ثم اتفقا على قواعد الصلح وهى:

- يرجع رسول الله ﷺ من عامة هذا ، فلا يدخل مكة، وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، ومعهم سلاح الراكب والسيوف في القرب، ولا تتعرض لهم قريش بأي نوع من أنواع التعرض.
- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، لا إسلال فيها ولا إغلال (١) ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

---

(١) لا إسلال فيها ولا إغلال: أى لا سرقة ولا خيانة.

✿ من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءا من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل، يعتبر عدواناً على ذلك الفريق.

✿ من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه - أي هارباً منهم - رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد - أي هارباً منه - لم يرد عليه.

ثم دعا رسول الله ﷺ علياً ليكتب الكتاب: فأملي عليه "بسم الله الرحمن الرحيم" .فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله، ما ندري ماهو؟ ولكن أكتب باسمك اللهم. فأمر النَّبي علياً بذلك. ثم أملى: هذا ماصالح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله، ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن أكتب من محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: إني رسول الله، وإن كذبتمونى، وأمر علياً أن يكتب من محمد بن عبد الله، ويمحوا لفظ رسول الله، فأبي عليّ أن يمحوا هذا اللفظ، فمحاه رسول الله بيده. ثم تمت كتابة الصحيفة.

ولما تم الصلح دخلت خزاعة في عهد سول الله ﷺ وكانوا حلفاء بني هاشم منذ عهد عبد المطلب، فكان دخولهم في هذا العهد تأكيداً لذلك الحلف القديم. ودخلت بنو بكر في عهد قريش.

التحلل من العمرة:

لما فرغ رسول الله ﷺ من قضية الكتاب، قال قوموا فانحروا. فوالله، ما قام منهم أحد، حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام ﷺ فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما كان من الناس. فقالت: يارسول الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحد كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك. فقام ﷺ فخرج، فلم يكلم أحد منهم حتى فعل ذلك. فلما رأى الناس ذلك، قاموا، فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

رفض رد المهاجرات:

جاء نسوة مؤمنات فسأل أولياؤهن، أن يردهن عليهم، بالعهد الذي تم في الحديبية. فرفض رسول الله ﷺ طلبهم هذا، بدليل أن الكلمة التي كتبت في هذه المعاهدة بصدد هذا البند هى: "وعلى أن لا يأتيك منا رجل وأن كان على دينك وإلا رددته علينا" (١) . فلم تدخل النساء في العقد رأساً. ونزل قول الله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

فكان رسول الله ﷺ يمتحنهن بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الممتحنة :١٠] . فمن أقرت بهذه الشروط، قال لها: قد بايعتك، ثم لم يكن يردهن. وقد طلّق المسلمون زوجاتهم الكافرات بهذا الحكم ومنهم عمر بن الخطاب الذي طلق يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك.

حزن المسلمين ومناقشة عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ :

هناك ظاهرتان عمت لأجلهما المسلمين كآبة وحزن شديد :

الأولى: أن رسول الله ﷺ قد أخبرهم أنهم سيأتون البيت، فيطوفوا به، فماله ﷺ يرجع ولم يطف به؟ .

والثانية: أنه رسول الله ﷺ وعلى الحق، والله وعده إظهار دينه، فماله قبل ضغط قريش، وأعطى الدنية في الصلح؟ .

---

(١) صحيح البخارى (١ / ٢٨٠).

كانت هاتان الظاهرتان مبعث الريب والشكوك والوساوس والظنون، فغلب الهم والحزن مشاعر المسلمين على التفكير في عواقب بنود الصلح. وكان أعظمهم حزناً عمر بن الخطاب، فقد جاء إلى النَّبي ﷺ وقال: يارسول الله، ألسنا على الحق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟، قال: بلى. قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟، قال: يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصرى، ولن يضيعني أبداً. قال: أو ليس كنت تحدثنا إنا سنأتي البيت فنطوف به؟، قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟، قال: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به. ثم انطلق عمر ابن الخطاب متغيظاً، فأتى أبا بكر، فقال له كما قال لرسول الله ﷺ ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله ﷺ سواء وزاد: فاستمسك بغرزة حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق ثم نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح : ١].

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمر فأقرأه إيّاه، فقال يارسول الله أَو فتح هو؟، فقال ﷺ : نعم، فطابت نفس عمر، ورجع، ثم ندم على ما فرط منه، ندماً شديداً. قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً مازلت أتصدق وأصوم وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً.

انحلت أزمة المستضعفين:

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة واطمأن بها، انفلت رجل من المسلمين، ممن كان يعذب في مكة، وهو أبو بصير [١] فأرسلوا في طلبه رجلين، وقالوا للنبي ﷺ العهد الذي جعلت لنا، فدفعه النَّبي ﷺ إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغوا ذا الخليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم. قال أبو بصير، لأحد الرجلين: أني لأرى سيفك هذا يافلان جيداً. فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت. فقال أبو بصير: أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه أبو بصير

---

(١) ابو بصير هو عتبة بن اسيد، رجل من ثقيف.

حتى برد [١] ، وفر الرجل الآخر، حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو. فقال رسول الله ﷺ حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً، فلما انتهى إلى النَّبي ﷺ قال: قتل صاحبى، وإني لمقتول، فجاء أبو بصير وقال يانبي الله، قد والله، أوفي الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم. قال رسول الله ﷺ ويل أُمه مسعر حرب، لو كان له أحد. فعرف أبو بصير أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أَتى سيف البحر.

وانفلت منهم أيضاً، أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم، إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله، ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النَّبي ﷺ تناشده الله والرحم، لما أرسل، فمن آتاه آمن، فأرسل النَّبي ﷺ اليهم فقدموا عليه المدينة. [٢]

الدروس المستفادة من صلح الحديبية:

[١] أن صلح الحديبية هو الفتح المبين فقد كان مقدمة لفتح مكة.

[٢] أهمية الشورى في الإسلام.

[٣] مدى محبة أصحاب رسول الله ﷺ له.

[٤] من الحكمة أن يتنازل المرء عن أشياء، لا تضر بأصل قضيته، لتحقيق أمور أعظم منها.

[٥] جواز الإستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال.

[٦] بيان فضل أصحاب بيعة الرضوان.

[٧] مشروعية الهدنة بين المسلمين وأعدائهم.

[٨] وجوب الوفاء بالعهود وحرمة الغدر والخيانة.

---

(١) برد: اى سكن ومات.

(٢) صحيح البخارى ١(٣٧٨-٣٨١)، ٢ (٥٩٨، ٦٠٠، ٧١٧) ؛ صحيح مسلم ٢(١٠٤-١٠٦) ؛ ابن هشام٢ (٣٠٨، ٣٢٢).

[٩] جواز التحلل من العمرة أو الحج للمحصر. وذلك بأن يذبح شاه أو ما يقوم مقامها ويحلق وينوي التحلل مما كان قد أهل به.

[١٠] الفرق بين وحي النبوة وتدبير الفكر البشري . فقد أعطى رسول الله ﷺ للمشركين كل ما سألوه من شروط وتساهل معهم في كل الشروط، ثم تبين أن المشركين ذلوا من حيث تأملوا العز، وقهروا من حيث اظهروا القدرة والغلبة.

ملخص أهم أحداث العام السادس من الهجرة النبوية المشرفة :

- غزوة بنى لحيان، وغزوة ذى قرد.
- صلح الحديبية وبيعة الرضوان.
- سرية عكاشة بن محصن، وسرية محمد بن مسلمة، وسرية أبي عبيدة عامر ابن الجراح، وسرايا زيد بن حارثة، وسرية كرز بن جابر الفهرى.

obeikandl.com

العـــام السابـــع
من الهجرة النبويـــة المشرفـــة

[١] إسلام أبطال قريش:

وفي أوائل سنة ٧ من الهجرة بعد هذه الهدنة، أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، ولما حضروا عند النَّبي ﷺ قال: إن مكة ألقت إلينا أفلاذ كبدها.

[٢] مكاتبة الملوك والأمراء:

تعتبر هدنة الحديبية بداية طور جديد في حياة الإسلام والمسلمين. فقد كانت قريش، أقوى القوى، وأعندها، وألدها في عداء الإسلام، وبانسحابها من ميدان الحرب، إلى رحاب الأمن والسلام، أعطت للمسلمين فرصة كبيرة، للتفرغ لنشر الدعوة الإسلامية وإبلاغها، وهو الهدف الذي عانى من أجله المسلمون، ما عانوه من المصائب والآلام والحروب والاضطرابات، وقد تضاعف نشاط المسلمين في هذا المجال.

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الملوك، يدعوهم إلى الإسلام، قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ خاتماً من فضة نقشه "محمد رسول الله " وكان النقش على هذه الصورة:

واختار من أصحابه رسلاً، لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك. وقد جزم

obeikandi.com

العلامه المنصورفوري أن رسول الله ﷺ أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام.

وفيما يلي نصوص هذه الكتب وبعض ما نتج عنها :

النجاشـــي :

واسمه أصحمة بن الأبجر، كتب إليه النَّبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري في المحرم. وقد ذكرالبيهقي نص الكتاب عن ابن اسحاق وهو :

هذا كتاب من محمد النَّبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعايه الإسلام فإني أنا رسوله،فأسلم تسلم ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك. ولما بَلَغَ عمرو بن أمية الضمرى، كتاب النَّبي ﷺ إلى النجاشى، أخذه النجاشي ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم عليّ يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النَّبي ﷺ بذلك وهاك نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله، من الله ورحمة الله وبركاته، والله الذي لا إله إلا هو، أما بعد : فقد بلغني كتابك يارسول الله، فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض، إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت ثفرقاً، وإنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت بها إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك على يديه لله رب العالمين [١] .

---

(١) زاد المعاد (٣ / ٦١).

obeikandi.com

وقد توفي النجاشي سنه تسع من الهجرة بعد تبوك ونعاه النَّبي ﷺ وصلى عليه صلاة الغائب، وخلفه على العرش ملك آخر كتب إليه النَّبي ﷺ كتاباً آخر ولا يدري هل أسلم أم لا (١) .

المقوقس ملك مصر:

وكتب النَّبي إلى جريج بن متى، الملقب بالمقوقس ملك مصر والأسكندرية. بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسول، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين،فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾(٢) . [آل عمران: ٦٤] ، فقال المقوقس حين وصله الكتاب: إن لنا ديناً لن ندعه، إلا لما هو خير منه.

وكان الذي أرسله رسول الله ﷺ بالكتاب، هو حاطب بن أبي بلتعة، فقال حاطب للمقوقس: ندعوك إلى دين الإسلام، الكافي به الله فَقْدَ ما سواه، إن هذا النَّبي دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبى، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النَّبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آيه النبوة، بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر.

---

(١) يؤخذ هذا مما رواه مسلم عن أنس (٢ / ٩٩).
(٢) هذا النص أورده ابن القيم فى "زاد المعاد" ٣ / ٦١ .

وأخذ كتاب النَّبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفع به إلى جاريه، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك،أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ماذكرت فيه، وما تدعوا إليه، وقد علمت أن نبياً بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك. ولم يزد عن ذلك، ولم يسلم. والجاريتان هما ماريه وسيرين، أما ماريه فتزوجها رسول الله ﷺ وهى التي ولدت له إبراهيم، وأما سيرين فأعطاها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصارى.

كسرى ملك الفـــرس:

وكتب النَّبي ﷺ إلى كسرى ملك الفرس بكتاب: إلى كسرى ملك فارس، بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس،سلام على من اتبع الهدى،وآمن بالله ورسوله،وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،وأن محمداً عبده ورسوله،أدعوك بدعاية الله،فإني أنا رسول الله، إلى الناس كافة،لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين،فأسلم تسلم، فإن أبيت فإثم المجوس عليك. واختار لحمل هذا الكتاب، عبد الله بن خدامة السهمى. ولما قُرِئَ الكتاب على كسرى، مزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبل اسمى. ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: مزق الله ملكه،وقد كان.ثم بعث كسرى إلى باذان، عامله على اليمن،يأمره أن يبعث رجلين جلدين من عنده، ليأتيا بمحمد ﷺ. وبعث باذان الرجلين، بكتاب إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، فلما قدما المدينة، وقابلا النَّبي ﷺ قال أحدهما: إن شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث من يأتيه بك، وقال قولاً تهديداً، فأمرهما النَّبي ﷺ أن يلاقياه غداً.

وحدث أن قامت في ذلك الوقت ثورة كبيرة ضد كسرى، من داخل بيته، بعد أن لاقت جنوده هزيمة منكرة أمام جنود قيصر، فقد قام شيرويه بن كسرى، على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وعلم رسول الله ﷺ الخبر من الوحى. فلما غدوا عليه، أخبرهما بذلك فقالا: هل تدري ماتقول؟ ، إنا قد نقمنا عليك ماهو أيسر، أفنكتب هذا عنك،ونخبره الملك؟ قال ﷺ : نعم، أخبراه ذلك عنى، وقولا له، إن ديني وسلطاني سيبلغ مابلغ كسرى، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: ان أسلمت أعطيتك ماتحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء. فخرجا من عنده، حتى إذا قدما على باذان، فأخبراه الخبر. وبعد قليل جاء كتاب بقتل شيرويه لأبيه، وقال له شيرويه في كتابه: انظر الرجل الذي كان كتب فيه أبي إليك، فلا تهجه، حتى يأتيك أمرى. وكان في ذلك إسلام باذان ومن معه من أهل فارس باليمن (١) .

قيصر ملك الـــروم:

وكتب رسول الله ﷺ الى هرقل، ملك الروم، كتاب روى نصه البخاري ضمن حديث طويل،هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم،سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** (٦٤) ﴾ [آل عمران: ٦٤] (٢) . واختار لحمل الكتاب، دحيه بن خليفة الكلبى، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى، ليدفعه إلى قيصر.

---

(١) فتح البارى (٨ / ١٢٧، ١٢٨) ورحمه للعالمين.
(٢) صحيح البخارى (١ / ٤، ٥).

ونذكر هنا ملخص لرد فعل هرقل، لكتاب رسول الله ﷺ فقد قال: أن هذا الرجل، أي رسول الله ﷺ، سيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه أنه منكم (أي العرب)، فلو أني أعلم أن أخلص إليه، لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عنه قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فلما فرغ أجاز دحيه الكلبي حامل كتاب رسول الله ﷺ بمال وكسوة.

ولما كان دحيه بحسمي في الطريق، لقيه ناس من جذام، فقطعوها عليه، ولم يتركوا معه شيئاً. فجاء رسول الله ﷺ فأخبره فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثه، إلى حسمي وهي وراء وادي القرى، في خمسمائة رجل، فشن زيد الغارة على جذام، فقتل منهم قتلاً ذريعاً، واستاق نعمهم ونسائهم، فأخذ من النعم ألف بعير، ومن الشاه خمسة آلاف، والسبي مائه من النساء والصبيان. وكان بين النَّبي ﷺ وبين قبيلة جزام موادعة، فأسرع أحد زعماء هذه القبيلة، بتقديم احتجاج إلى النَّبي ﷺ وكان قد أسلم هو ورجال من قومه، ونصروا دحيه حين قُطِعَ عليه الطريق. فقبل النَّبي ﷺ احتجاجه وأمر برد الغنائم والسبي [١].

حاكم البحرين:

كتب النَّبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى، حاكم البحرين، كتاباً يدعوه إلى الإسلام، وبعث إليه العلاء بن الحضرمى، بذلك الكتاب. فكتب المنذر يقول: أما بعد يارسول الله، فإني قرأت كتابك، على أهل البحرين؛ فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلى في ذلك أمرك. فكتب رسول الله ﷺ إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه،

(١) زاد المعاد٢ / ١٢٢ وحاشية تلقيح فهوم أهل الأثر ص٢٩ .

وإنه من يطع رسلى، ويتبع أمرهم، فقد أطاعنى، ومن نصح لهم، فقد نصح لى، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وأني شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية (١) .

صاحب اليمامـــة:

كتب النَّبي ﷺ إلى هوذه بن على، صاحب اليمامة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هوذه بن على، سلام على من اتبع الهدى، وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك.

واختار لحمل هذا الكتاب، سليط بن عمرو العامرى. فلما قدم سليط، على هوذه بهذا الكتاب مختوماً، أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب، فرد عليه رداً دون رد، وكتب إلى النَّبي ﷺ :

ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله، والعرب تهاب مكانى، فاجعل لي بعض الأمر، اتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر. فقدم سليط بذلك كله على النَّبي ﷺ فأخبره، وقرأ النَّبي ﷺ كتابه فقال: لو سألني قطعة من الأرض، ما فعلت، باد وباد ما في يديه.

فلما انصرف رسول الله ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذه مات، فقال النَّبي ﷺ : أما إن اليمامة، سيخرج بها كذاب يتنبئ يُقتل بعدى، فقال قائل: يارسول الله من يقتله؟، فقال أنت وأصحابك فكان ذلك (٢) .

الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق:

أرسل رسول الله ﷺ إليه، شجاع بن وهب من بني أسد بني خزيمه بكتاب، ولما أبلغه الكتاب قال: من ينزع ملكي مني ؟ أنا سائر إليه، ولم يسلم (٣) .

(١) زاد المعاد ٣ / ٦١، ٦٢ . (٢) زاد المعاد ٣ / ٦١، ٦٢ . (٣) زاد المعاد ٣ / ٦١، ٦٢ .

ملك عمان وأخوه:

أرسل رسول الله ﷺ إليه كتاب، وكان حامله عمرو بن العاص، فلما أبلغهما الكتاب، أسلما وقومهما.

الدروس المستفادة من مكاتبة الملوك والأمراء:

[١] أن الدعوة التي بُعث بها رسول الله ﷺ للناس كافة، وأن رسالته إنسانية شاملة، ليس لها طابع العنصرية أو القومية.

[٢] ضرورة أن يهيئ المسلمين للدعوة الإسلامية وسائلها وأسبابها في كل أرجاء الأرض، ومن أهم تلك الوسائل المعرفة بلغة الأمم والأقوام الذين يقومون بدعوتهم إلى الإسلام.

[٣] ضرورة مراعاة توقيت دعوة الغير إلى الإسلام. فعلى المسلمين أولاً أن يقوموا بمسؤولية الدعوة فيما بينهم، وأن يصلحوا من أنفسهم، ثم يقوموا بواجب الدعوة، لأن إصلاح المسلمين أنفسهم، جزء من دعوة غيرهم.

[٤] مشروعية اتخاذ الخاتم، ومشروعية نقش اسم صاحبه عليه.

[٥] جعل رسول الله ﷺ اسم الله تعالى أعلى في الخاتم، واسمه الأدنى. وفي ذلك من تعظيم الله وإعظام اسمه مالا يقدر قدره.

[٦] تنوعَ عبارات كتبه ﷺ حسب مقام وحال من كتب إليهم.

[٧] لما كان كسرى مجوسياً غير كتابي،قدم رسول الله ﷺ اسم كسرى على اسم الله تعالى وقاية. كما ذكر المولى عز وجل في كتابه على لسان سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣٠﴾[النمل: ٣٠] .

[٨] استعمل النبي ﷺ عبارة "يؤتك الله أجرك مرتين" في كتبه إلى أهل الكتاب،آخذاً من قول الحق سبحانه وتعالى في خطاب أهل الكتاب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾[الحديد: ٢٨] .

[٣] غزوة خيبر:

كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون متعددة، ومزارع خصبة كثيرة، على بعد ستين أو ثمانين ميلاً من المدينة في جهة الشمال، أي في الطريق إلى الشام. ولقد كانت مقسمة إلى ثلاث مناطق حربية :

✿ **الأولى:** منطقة النَّطاة وبها ثلاثة حصون؛ حصن ناعم،حصن الصعب بن معاذ،حصن قلعة الزبير.

✿ **والثانية:** منطقة الشق وبها حصنان حصن أُبي وحصن النذار.

✿ **والثالثة:** منطقة الكتيبة وفيها ثلاثة حصون،حصن القحوص وهو حصن بني أبي الحقيق من بني النضير،وحصن الوطيح،وحصن السلالم. أما الأن فقد أصبحت حصون خيبر أطلالاً، وتهاوت أكثر قلاعها، فباتت ركاماً من الحجارة السوداء، وجفت أكثر ينابيعها، وأصبح في مناخها بعض الوخامة.

سبب الغزوة:

كانت خيبر وكر الدسائس والتآمر، ومركز الاستفزازات العسكرية، ومعدن التحرشات، وإثارة الحروب. وأهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب، ضد المسلمين وأثاروا بني قريظة، على الغدر والخيانة، ثم أخذوا في الاتصال بالمنافقين وبغطفان وأعراب البادية ووضعوا خطة لإغتيال النَّبي ﷺ ، وإزاء ذلك اضطر المسلمون إلى بعوث متتالية وإلى الفتك برأس هؤلاء المتآمرين مثل سلام بن أبي الحقيق وأُسَيْر بن زارِم. ولما كان هناك قوى أكبر وأقوى وألد وأعند منهم، وهي قريش، أبطأ المسلمون في القيام بواجب غزو خيبر، لحين الإنتهاء من قريش، حتى يصفو الجو لمحاربة هؤلاء المجرمين.

استعداد غطفان ثم تراجعها:

سلك رسول الله ﷺ في اتجاهه نحو غزو خيبر، جبل عِصر، ثم علا الصهباء، ثم نزل على وادٍ يقال له الرجيع، بينه وبين غطفان مسيرة يوم وليلة. فتهيأت

غطفان، وتوجهوا نحو خيبر لإمداد اليهود، فلما كانوا ببعض الطريق سمعوا من خلفهم حساً ولغطاً، فظنوا أن المسلمين أغاروا على أهاليهم وأموالهم فرجعوا وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

الطريق إلى خيبر:

وقد أمرَ رسول الله ﷺ الدليل، أن يدله على الطريق الأحسن، حتى يدخل خيبر من جهة الشمال، فيحول بين اليهود وبين فرارهم إلى الشام، كما يحول بينهم وبين غطفان، فأراه الدليل واسمه حسيل، عدة طرق وقال: يارسول الله هذه طرق يمكن الوصول من كل منها إلى المقصد. فأمره رسول الله ﷺ أن يسميها له واحداً واحداً. فقال حسيل: اسم واحد منها "حزن". فأبي النَّبي ﷺ من سلوكه. فقال: اسم الثاني "شاش" فامتنع ﷺ منه أيضاً. ثم قال حسيل: أسم الثالث "حاطب" فامتنع ﷺ منه أيضاً. فقال حسيل: فما بقى إلا واحداً. قال عمر: سمه،قال حسيل: "مرحب" فاختار النَّبي ﷺ سلوكه.

الجيش الإسلامي إلى أسوار خيبر:

لما دنا رسول الله ﷺ من خيبر، وأشرفَ عليها، قال: قفوا، فوقف الجيش، فقال: "اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين،فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها". ثم قال ﷺ أقدموا بسم الله (١). وكان رسول الله ﷺ إذا غزا قوماً،لم يغر عليهم حتى يصبح،فان سمع أذاناً أمسك، وإن لم يسمع أذاناً إلى الصلاة ـ وهى شعيرة الإسلام الكبرى ـ أغار عليهم. وبات رسول الله ﷺ، ومع الفجر، وبعد الصلاة، ركب رسول الله ﷺ، وركب المسلمون، وتقدموا حتى أصبحوا في مواجهة حصون خيبر. فلما رآهم أهل خيبر، وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم

---

(١) ابن هشام ٢ / ٣٢٩.

obeikandi.com

إلى أرضهم، قالوا: محمد، والله، محمد والخميس (١) ، ثم رجعوا هاربين إلى مدينتهم، فقال النبي ﷺ : الله أكبر خربت خيبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين (٢) .

المنـــزل:

اختار النَّبي ﷺ لمعسكره منزلاً، فأتاه حباب بن المنذر فقال: يارسول الله، أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله، أم هو الرأي في الحرب؟ قال ﷺ : بل، هو الرأى. قال حباب: يارسول الله، إن هذا المنزل قريب جداً من حصون النطاه، وجميع مقاتلي خيبر فيها، وهم يدرون أحوالنا، ونحن لا ندري أحوالهم، وسهامهم تصل إلينا، وسهامنا لا تصل إليهم، وأيضاً لا نأمن من بياتهم بين هذه النخلات، والمكان غائر، والأرض وخيمة، لو أمرت بمكان خالٍ عن هذه المفاسد، نتخذه معسكراً. قال رسول الله ﷺ : الرأي ما أشرت إليه، ثم تحول إلى مكان آخر.

بداية المعركة :

بدأ النَّبي ﷺ معركة الحصار في قتال عنيف حول حصن ناعم، واليهود يستميتون في الدفاع عن كل شبر من الأرض،لا ينزلون عنه إلا مرغمين، وكلما حاولوا الخروج من الحصن، دحرهم المسلمون،فارتدوا إلى الحصن،ليحتموا وراء جدرانه .وطال الحصار، وأشتد القتال،حتى جهد المسلمون،ومكث رسول الله ﷺ يقاتل حصن ناعم، ويعطي الراية في كل يوم، واحداً من الصحابة، ويبعثه إلى الحصن، فيرجع ولم يصنع شيئاً،حتى فتحه الله على يد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

سقوط منطقة النَّطاة والراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

روى أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث بريده بن الخطيب. قال: لما كان يوم خيبر، أخذ أبو بكر رضي الله عنه اللواء،فرجع ولم يفتح له،فلما كان

---

(١) الخميس الجيش الكبير لانه خمس فهو المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق .

(٢) صحيح البخارى باب غزوة خيبر .

الغداة، أخذه عمر رضي الله عنه فرجع ولم يفتح له. فلما كانت ليلة الدخول، قال النَّبي ﷺ : لأعطين الراية غداً، رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله ﷺ ، كلهم يرجوا أن يُعطاها. فقال رسول الله ﷺ : أين عليّ بن أبي طالب؟ فقالوا يارسول الله، هو يشتكي عينيه [١]، قال ﷺ : فأرسلوا إليه، فأُتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرئ، كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال عليّ رضي الله عنه : يارسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، "أي المسلمين". قال رسول الله ﷺ : أنفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم أدعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم [٢] . فخرج عليّ رضي الله عنه ، فقاتل فكان الفتح على يديه.

ولقد ذكر ابن إسحاق من حديث أبي رافع قال: خرجنا مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ رضي الله عنه ، باباً كان عند الحصن، فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله عليه. ولقد رأيتني وأنا في سبعة، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. وللحاكم من حديث جابر أن علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك، فلم يحمله أربعون رجلاً.

ولما سقط حصن ناعم، فر اليهود إلى الحصن الذي وراءه ـ وهو حصن الصعب ابن معاذ ـ فاعتصموا به. وقاتل المسلمون قتالاً شديداً، حتى فتحوه عَنْوَة. وقد وجد المسلمون، في ذلك الحصن من؛ الشعير والتمر والسمن والزيت والعسل والمتاع شيئاً كثيراً وكانوا قد أصابتهم مجاعة، قبل أن يفتحوه حتى أكلوا لحوم الخيل، وفي ذلك الحصن أيضاً، وجد المسلمون ـ في بيت تحت الأرض ـ منجنيقاً

---

(١) كان لأجل هذه الشكوى تخلف أول المسير ثم لحق بالجيش.

(٢) صحيح البخارى باب غزوة خيبر ٢ / ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

ودبابات ودروعاً وسيوفاً وكثيراً من آلات الحرب، دلهم عليها بعض اليهود، فانتفعوا بها في هذه المعركة أيما انتفاع.

ولما سقط حصن الصعب بن معاذ، فر اليهود إلى حصن الزبير، فحاصره المسلمون ثلاثة أيام،ثم علم رسول الله ﷺ ـ من أحدهم ـ أن وراء الحصن، جدولاً يمد أهله بالماء، فأمر بقطعه عنهم، فلما قطعوا عنهم الماء، خرجوا من الحصن، وقاتلوا عنه أشد قتال، ثم فتحه الله على المسلمين.

سقوط منطقة الشق:

لما سقطت منطقة النطاة كلها في أيدي المسلمين، فر اليهود منها إلى منطقة الشق، فاعتصموا بأول حصن، وأخذ المسلمون يفتحونها حصناً حصناً، حتى سقطت منطقة الشق، كما سقطت، من قبل، منطقة النطاة.

سقوط منطقة الكتيبة وزواجه ﷺ بصفية بنت حيي:

ذهب اليهود إلى منطقة الكتيبة، فاعتصموا فيها بحصن القَمُوص، وهو حصن بني الحُقَيْق. وكان تحت قيادة بعض الأشراف، من بني الحقيق، وكان فيه نساء هذه الأسرة، فحاصره رسول الله ﷺ عشرين ليلة، ثم فتحه الله على يد عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه. وقد سبي من هذا الحصن، جمع من النساء والزرارى، من بينهم صفية بنت حُيَيّ، التي خيرها رسول الله ﷺ بين أن يردها إلى أهلها، أو يعتقها ويتزوجها، فآثرت رسول الله ﷺ والدار الآخرة على العودة إلى أهلها. ومعلوم أن رسول الله ﷺ لم يرد بزواجه إشباع غريزة الجنس،ولا الشهوة كما كان يفتري أعداء الإسلام الذين يحاولون إثارة الشبهة حول مقامه الشريف، وإنما كان في هذا الزواج تكريم للسيدة صفية، لنسبها ولما لها من مكانه في قومها، وفيه أيضاً اغراء لها، حيث قتل أبوها وزوجها وكثير من قومها. فقد كان في وسع رسول الله ﷺ أن يتركها مملوكة، ولكنه ضرب أروع الأمثلة في التسامح وإعزاز وإكرام عزيز القوم . ولما أعرس بها، بات أبو أيوب الأنصاري يحرسه. فلما

أصبح، قال رسول الله ﷺ : "مالك يا أبا أيوب"؟، قال: "يارسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وقد قتل أبوها، وزوجها، وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر". فسر رسول الله ﷺ بصنيعه، وقال: "اللهم احفظ أبا أيوب، كما بات يحرسنى". ثم حاصر رسول الله ﷺ حصني الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقن أهلها بالهلكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يستسلموا بحقن دمائهم، ونزل كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ فصالحه، على أن يحقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم، من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء، أي الذهب والفضة، والكراع والحلقة إلا ثوباً على ظهر إنسان. وقال رسول الله ﷺ : وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً، فصالحوه على ذلك.

مصالحة أهل فدك:

عندما سمع أهل فدك بفتح خيبر، نزل بهم الرعب، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه، على النصف من فدك، فصالحهم على ذلك، وكان رئيسهم يوشع بن نون اليهودى. ولذلك كانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولاركاب.

[٤] غزوة وادي القرى:

بعد الفراغ من خيبر ومصالحة أهل فدك، قصد رسول الله ﷺ وادي القرى، ليفتحها فحاصرها، عدة ليال، وافتتحها عنوة. وعامل أهلها معاملة أهل خيبر وفدك، سواء بسواء. وأثناء الحصار، قتل مدغم، مولى رسول الله ﷺ ، الذي أهداه إليه رفاعة بن زيد الجزامى. فقال بعض المسلمين: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ : "**كلا، والذي نفس محمد بيده، إن شملته، التي غلها من فئ المسلمين يوم خيبر، لتحترق عليه في النار**".

قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعريين:

بعد الانتهاء من فتح خيبر، وصل من الحبشة وفد المسلمين [١] المهاجرين إليها، منذ ما يزيد عن خمسة عشر عاماً، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. وقد فرح رسول الله ﷺ بقدومه، والتزمه، وقبّل بين عينيه، وقال: ما أدري بأيهما أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ ، وقد التقى هذا الوفد، في طريقه، بوفد الأشاعرة القادمين من اليمن، وعلى رأسهم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. فلما أتوا جميعاً المدينة، علموا أن رسول الله ﷺ يحاصر خيبر، فتوجهوا إليها على الفور، ليشاركوا في شرف الجهاد، لكنهم بلغوها وقد انتهى كل شئ، لذلك أسهم لهم رسول الله ﷺ في مغانم خيبر.

الشاه المسمومة:

لما أطمأن رسول الله ﷺ بخيبر بعد فتحها، أهدت له زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم - شاة، وقد سألت، أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمت سائر أعضاء الشاة، وجاءت بها، ثم وضعتها، بين يدي رسول الله ﷺ فتناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها، ولفظها، ثم قال: أن هذا العظم ليخبرني إنه مسموم، ثم دعا بصاحبة الشاه، فاعترفت. فقال لها رسول الله ﷺ: ما حملك على ذلك؟ ، قالت: قلت، لو كان ملكاً استرحنا منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ ، وكان معه بشر بن البراء بن معرور، أخذ منها أكلة، فأساغها، فمات منها. ولقد اختلفت الروايات في التجاوز عن المرأة وقتلها، وأجمعوا بأنه تجاوز عنها أولاً، فلما مات بشر، قتلها قصاصاً [٢] .

---

(١) قيل انهم كانو سبعة عشر رجلاً، مع نسائهم وزراريهم وفيهم أم حبيبه (رمله) بنت أبى سفيان، رضي الله عنها. وكانت ام حبيبة قد هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى، الذى خرج مسلماً مع المسلمين، فلما قدم الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ومات نصرانياً، فتزوجها رسول الله ﷺ .

(٢) انظر زاد المعاد ٢ / ١٣٩، ١٤٠؛ فتح البارى ٧ / ٤٩٧؛ البخارى ١ / ٤٤٩، ٢ / ٦١٠، ٨٦٠؛ ابن هشام ٢ / ٣٣٧، ٣٣٨ .

غنائم خيبر:

قسم رسول الله ﷺ غنائم خيبر، على أهل الحديبية، من شهد خيبر ومن غاب عنها، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها.

أعطى رسول الله ﷺ أربعة أخماس الغنيمة للغانمين، للراجل سهم وللفارس ثلاثة أسهم؛ سهم له واثنان لفرسه. ووزع الخمس الباقي على من نصت عليهم الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) ﴾ [الأنفال: ٤١].

- رضخ رسول الله ﷺ للنساء من الغنيمة، ولم يضرب لهن بسهم.
- أشرك رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب ومن معه، في الغنائم حينما عادوا من الحبشة واليمن.

قتلى الفريقين:

اختلفت الروايات في شهداء المسلمين بين ٢٣،١٨،١٦ . أما قتلى اليهود فكانوا ٩٣ قتيلاً.

الدروس المستفادة من غزوة خيبر:

[١] دخول الدعوة الإسلامية مرحلة جديدة، بعد صلح الحديبية، وهي مرحلة الجهاد، من أجل تبليغ دعوة الإسلام وتفهمه فهماً صحيحاً.

[٢] الصلاه شعيرة الإسلام الكبرى، والآذان علامة بينة على إسلام القوم، تستوجب عدم قتالهم.

[٣] تأييد المولى عز وجل لرسوله المصطفي ﷺ، وظهور بعض الخوارق العظيمة، مثل شفاء عين عليّ بن أبي طالب، بعد أن تفل فيها النبى ﷺ، وإخباره ﷺ بأن الشاة مسمومة.

[٤] مشروعية مواصلة الفتح حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

[٥] حرمة الغلول من الغنيمة.

[٦] جواز إشراك غير المقاتلين في الغنيمة.

[٧] مشروعية عقد المساقاه. وهي أن يعامل مالك الأرض غيره، على ما فيها من شجر، ليتعهده بالسقى والعناية، على أن تكون الثمار بينهما. كما فعل رسول الله ﷺ مع أهل خيبر.

[٥] غزوة ذات الرقاع [1] :

لما فرغ رسول الله من كسر جناحين قويين، من أجنحة الأحزاب الثلاثة، تفرغ تماماً للإلتفات إلى الجناح الثالث؛ أي الأعراب القساة الضاربين، في فيافي نجد، والذين مازالوا يقومون بأعمال النهب والسلب بين آونة وأخرى.

وقد علم رسول الله ﷺ أن بني محارب وبني ثعلبة يتهيأون لحربه، فخرج إليهم في سبعمائة من أصحابه، وولى على المدينة عثمان بن عفان وقيل أبا ذر الغفارى. وسار رسول الله ﷺ وأصحابه حتى بلغوا موضعاً فيه شجرة كبيرة، كان الأعراب يقدسونها و يعظمونها، يقال لها "ذات الرقاع"، فأقاموا هناك للراحة. ويقال أن هذه الغزوة سميت باسم تلك الشجرة "ذات الرقاع"، ويقال أيضاً أنها سميت بذلك الاسم لإن الحجارة أوهنت أقدام المسلمين، فكانوا يشدون عليها رقاع الخرق.

وعاود الجيش الإسلامي السير حتى نزل" نخلا"، وهي موقع بنجد من أرض غطفان، فلقى بها جمعاً عظيماً، من نساء بني محارب وبني ثعلبة في الدور والمضارب، فأسروهن. ولما علم الرجال بذلك تفرقوا في رؤوس الجبال، والهضاب خشية وخوفاً. وأقام المسلمون معسكرهم، وأخذوا يستعدون للقاء العدو، وتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب.

---

(١) عامة أهل المغازى يذكرون غزوة ذات الرقاع فى السنة الرابعة، ولكن مساهمة أبو موسى الأشعرى وأبو هريرة ﷺ فى هذه الغزوة تدل على وقوعها بعد خيبر. والله أعلم

صورة من الإخلاص:

بات رسول الله ﷺ برجاله في مضيق، بين جبلين، وجعل على الحراسة مهاجراً، وهو عمار بن ياسر وأنصارياً، وهو عباد بن بشر. فخير أحدهما الآخر في حراسة أول الليل أو آخره، فاختار الأنصارى، أول الليل. فحرس، ثم قام يصلى، فجاء أحد القناصة من العدو، فرماه بسهم، فنزعه وواصل صلاته، ثم رماه بآخر، فنزعه وواصل صلاته، ثم رماه بثالث، فاستيقظ صاحبه، ورأى الدم يسيل منه، فسأله لما لم توقظنى؟ ، فقال إني كنت في سورة، أقرأها، فلم أحب أن أقطعها حتى أكملها، وأيم الله، لولا أن أضيع ثغراً، أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أتم القراءة. وحينئذ رأى القناصة، أنه لافائدة ترجى من المغامرة، في غزو المعسكر فعاد أدراجه خائباً.

صورة من الثقة :

وفي هذه الغزوة أيضاً، ذهب رسول الله ﷺ يقيل في ظل شجرة، وعلق سيفه في فرع من فروعها،فتسلل إلى مكانه رجل من العدو،فأخذ سيف رسول الله ﷺ فاستله من جرابه، فاستيقظ رسول الله ﷺ : فإذا الرجل قائم على رأسه، والسيف في يده، وهو يقول: من يمنعك منى؟ قال ﷺ : الله. فسقط السيف من يده،فأخذه رسول الله ﷺ وقال له: من يمنعك منى؟ فقال الرجل: كن خيرآخذ. فعفا عنه رسول الله ﷺ فأسلم الرجل وذهب إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، وقال لهم: جئتكم من عند خير الناس.

الدروس المستفادة من غزوة ذات الرقاع:

[١] بيان العفو المحمدى، في العفو عمن هم بقتله.

[٢] مشروعية اتخاذ الحراسة، عند الخوف.

[٣] بيان صدق قوله ﷺ : **"نصرت بالرعب مسيرة شهر"**.

عمرة القضاء:

بعد أن عاد رسول الله ﷺ من خيبر إلى المدينة، خرج في شهر ذي الحجة، متجهاً إلى مكة، لأداء العمرة، على ما عاهد عليه قريشاً في الحديبية، ودخل مكة وأدى العمرة، ولكن بعض المشركين قعدوا فوق جبل قيقعان، بمكة ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون، وكأنهم يحبون أن ينظروا إلى ضعفهم، وفي نفوسهم أحقاد عليهم، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين عند طوافهم بالرمل (١) ، حتى يرى أعداؤهم من المشركين الذين كانوا يشيعون على الماهجرين أنهم أضعفتهم الأمراض، ووهنتهم حمى يثرب.

وبعد ذلك تزوج رسول الله ﷺ السيدة ميمونة بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ وأسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة قبل هذه العمرة ـ وقيل بعدها.

الدروس المستفادة من عمرة القضاء:

[١] استحباب الإضطباع والهرولة في طواف الأشواط الثلاثة الأولى إتباعاً لرسول الله ﷺ ، ويستحب ذلك في الطواف الذي يعقبه سعى، لإن الطواف الذي رمل فيه النَّبي ﷺ كان كذلك.

[٢] لا يستحب للمرأة شيئاً من الهرولة أو الإضطباع، لإن لنبي ﷺ لم يأمر النساء به.

[٣] جواز الإعتمار في الأشهر الحرم. فقد اعتمر النَّبي ﷺ أربع عمرات، ثلاث منهن في ذي القعدة، والرابعة هي التي كانت مع حجته "حجة الوداع".

[٤] مشروعية قضاء العبادة، إذا فاتت، لأسباب قاهرة حالت دون أدائها.

---

(١) الرمل: وهو نوع من الهرولة والسرعة فى المشى بين الجرى والمشى السريع، مع هز الكتفين.

ملخص أهم أحداث العام السابع من الهجرة النبوية المشرفة :

[١] إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة .

[٢] مكاتبة الملوك والأمراء .

[٣] غزوة خيبر ومصالحة أهل فدك وغزوة وادي القرى .

[٤] قدوم جعفر بن أبي طالب والأشعريين .

[٥] غزوة ذات الرقاع .

[٦] عمرة القضاء .

obeikandl.com